معالم الشعر السعودى المعاصر

عياد

بقلم: عبدالله بن عبدالعزيز بن إدريس

اذا كان الله تعالى قد نفى نفيا قاطعا ان يكون قد علم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم قول الشعر وذلك في قوله سبحانه (وما علمناه الشعر وماينبغي له) أي نفى أن يكون قد خلق فيه الملكة أو القدرة على نظم الشعر ـ فما ذاك الا لانه سبحانه قد اصطفاه لتبليغ رسالته الى أهل الارض ، وكلفه أن يؤدي للبشرية ماهو أسمى وأجل وأعلى من قول الشعر ٠٠ وهو القرآن الكريم الذي كله حق وصدق وعدل ٠٠ وهو كلام الله الذي لايدانى ولا يبارى ٠

ومن هنا نزه الله نبيه عن قول الشعر الذي يحتمل دائما الحق والباطل والصدق والكذب ، والتقى والفسوق ، والايمان والكفر ٠٠ وبالجملة فهو يحتمل الخير والشر ، وما كان نفي صفة الشاعرية عن الرسول صلى الله عليه وسلم الا دفعا للشبه التي قد تستقر في أذهان المشركين وعقولهم بأن مايبلغهم به من الوحي وما يدعوهم اليه ليس الا شعرا من نسخ خياله ٠٠ على الرغم من أنهم لم يعرفوا عنه أنه قال شعرا قط ٠٠ وهو كذلك صون لجوفه عليه الصلاة والسلام من أن يختلط فيه كلام الله الذي (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) بالشعر الذي هو صنف من أصناف التعبير البشري ٠٠ فيه ما في البشر من خير وشر ٠

ثم يضاف الى هذا أن نفى الله صفة الشعر عن القرآن ـ كما زعم المشركون وتكذيبه لهم سبحانه بقوله (وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون) دليل على مكانة الشعر وعظيم شانه في القبائل والمجتمعات العربية أبان نزول القرآن ، ومن قبل ذلك ومن بعده الى يومنا هذا والى ماشاء الله ·

ان الشعر سلاح ذو حدين يستطيع الشاعر أن يستخدم منه الحد الايجابي النافع في الدعوة الى الخير والحق والفضيلة والجمال الروحي الانساني ، كما فعل آلاف من الشعراء العرب والمسلمين منذ العهد الجاهلي وخاصة من عهد الشاعر الحكيم انعاقل الرصين (زهير بن أبي سلمي) ومرورا بالشعراء الاسلاميين من حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهما الى هاشم الرفاعي ووليد الاعظمي ـ مثلا ـ في عصرنا الحاضر ·

وفي الجانب الآخر يستطيع الشاعر كذلك أن يستخدم شاعريته في حدها السلبي الضار ، كقلب الحقائق وطمس معالم الحق أو تزييفه ، والدعوة الى الباطل وتزيينه للنفوس المريضة ذات الاستعداد الجاهز لتقبل كل فكرة طارئة مهما كان موقعها من الاسلام أو مجافاتها لشريعة الله وحدوده ·

وكمثال على هذا الجانب السلبي ما وقع من شويعر يبدو عليه التعطش للانحراف والانحلال الخلقي ومصادمة شرع الله ودينه والاخلاق الفاضلة ·· نشر قصيدة في شهر ربيع أول ١٣٩٨ هـ في ملحق احدى جرائدنا اليومية والملحق أدبي أسبوعي ، عنوانها (مزقيه) أي مزقي خمارك واحتشامك يافتاة الجزيرة العربية المسلمة ، وكل القصيدة حث وتحريض للفساد والافساد بل وتطاول على كتاب الله لكن المؤمنين كانوا له بالمرصاد حيث مزقوا ستره وحطموا فكره في الحال دون أن ينال مراده في تفلت المجتمع على حدود الله ومحارمه وشرعه القويم ·

ومع ذلك كله فالشعر هو أسمى فنون القول الانساني وأجملها على الاطلاق وهو السجل الخالد لأحوال العرب وحياتهم وتاريخهم وأمجادهم في السلم والحرب خلال مايقارب الفي عام ·

ويكفي دليلا على مكانة الشعر وسمو قدره عند الناس أن كفار العرب حين كانوا يسمعون الآيات القرآنية تنزل على محمد صلى الله عليه وسلم في أول ظهور الاسلام تدعوهم وجميع البشر الى وحدانية الله وعبادته

ـ كانت تصيبهم هزة انبهار شديد لبلاغة القرآن وقوة تاثيره وأسره ٠٠ فلا يجدون صفة يلصقونها به الا انه شعر ٠٠ وأن محمدا قد أصبح شاعرا ٠٠ ولو على نحو يخالف مألوف التعبير الشعري عندهم من حيث الاوزان والقوافي

فماذا يدل عليه هذا ٠٠ ؟ انه يدل على مدى تأثير الشعر في النفوس والمشاعر والاحاسيس والعقول ٠٠ وسواء أكان ذلك ايجابا أم سلبا ٠

ومع كون النبي صلى الله عليه وسلم لايعرف نظم الشعر فانه قد مدح الصالح منه فقال (ان من البيان لسحرا وأن من الشعر لحكمه) وقال لشاعره حسان بن ثابت اهجهم ـ يعني قريشا ـ فوالله لهو أشد عليهم من وقع النبال وطلب مرة من أحد أصحابه أن يسمعه شيئا من شعر أمية بن أبي الصلت فاخذ الصحابي ينشده وهو يقول ـ (هيه ـ هيه) أي زدني من هذا الشعر فلما انتهى قال (لقد آمن شعر أمية وكفر قلبه) ورأى الخنساء بنت تماضر فقال لها (انشدينا شيئا من شعرك ياخناس ـ أو كما قال) ٠

بل لقد سمح لكعب بن زهير أن ينشده قصيدته المشهورة التي مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم اثرها لم يفد مكبول

وصدر هذه القصيدة كما هو معلوم ـ غزل ـ وكان المكان الذي انشد فيه القصيدة من أقدس البقاع في الارض وهو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ٠

فهذا كله أوردته كدليل على مكانة الشعر ومنزلته الرفيعة في كل نفس حية ذات فهم وتفاعل وتذوق ، وبناء على هذا وحفاظا على أرفع فن عند العرب وهو الشعر ـ فان العناية بالشعر اهتماما ودراسة وممارسة وتذوقا ـ واجب قومي لايصح اهماله أو التخلي عنه ٠

بعد هذا أدخل الى موضوع حديثي اليكم هذه الليلة بقصد القاء ومضات سريعة على بعض العوامل المؤثرة في تطور شعرنا المعاصر وعلى بعض الاغراض والظواهر التي تستقطب اهتمام الشعراء والتي تمثل أهم تياراته شكلا ومضمونا ٠

ان المتتبع لمسارات الشعر في المملكة خلال هذا القرن الذي أوشك على الرحيل يدرك أن شعراءنا لم يستطيعوا الانعتاق من رتابة الاغراض والمضامين التقليدية من مديح وهجاء ، وغزل ورثاء ، ورسائل اخوانية ، ووصف ، الى آخر تلك الاغراض الا في الثلث الاخير من هذا القرن مع بداية النهضة التعليمية الشاملة التي عاشتها المملكة ولا تزال تعيشها ·

كان لابد للشعر والتعليم أن يتواكبا ويسير أحدهما مصاحبا للآخر يؤثر فيه ويتأثر به من حيث أن العلم وليد التجارب والعقول ـ والشعر وليد الوجدان والشعور ، فاذا التقى العلم والوجدان والشعور في الانسان جعلا منه انسانا مثاليا اذا كان سليم العقيدة والدين ·

لكن الذي حدث أن النهضة التعليمية لم تعمل عملها المنتظر منها في الشعر بقدر ماعملته الثقافة العامة التي اكتسبها الشعراء ذاتيا من قراءاتهم واطلاعهم على ماتلفظه مطابع العالم العربي من مجلات وكتب ودواوين شعرية للشعراء الرواد والمجددين في مصر وسوريا ولبنان والعراق والمهاجر الامريكية ·

بل ليست هذه الكتب والدواوين الشعرية هي كل شيء في تفتح وتطور الذهنية في الشاعر السعودي ومواكبته التطور الشعري المعاصر في البلدان الشقيقة بل رفدتها عوامل هامة أخرى منها مايلي : ـ

١ ـ عامل التعليم الذي سبقت الاشارة الى أنه لم يفعل في الشعر ماكان متوقعا ومنتظرا منه فجاء تأثيره فيه أقل من تأثير بعض العوامل الاخرى ·· لكن دور التعليم في ايضاح التفكير وتقويته هو دور لاينكر ولا يمارى فيه الا أنه لم يكن بالدور المنتظر شمولا وفعالية كخلق الحيوية والتحرك الديناميكي في المجتمع السعودي مما يحقق للبلاد شق طريقها الى عمق المعاصرة الحضارية الحقيقية ·· لا الاكتفاء بالوقوف عند سفوحها والتمتع بقشورها الزبرقية والرضى عن النفس بما وصلت اليه من قشرية الحضارية الغربية الموبوءة دون أن تغوص في عمقها العملي الايجابي الذي هو مايجب أن يكون ثمرة من ثمار التعليم ونتائجه ·

هذا يستتبع ـ بالتالي ـ تأثير التعليم في الشعر وتأثير الشعر في المتعلمين ليكون التعليم هو القافلة والشعر هو الحداء والغناء لخطى هذه القافلة ٠

٢ ـ الثاني من عوامل التطور الشعري في المملكة ـ ولعله أهم العوامل المؤثرة في تطور الشعر العربي عامة هو نكبة فلسطين . بفعل تآمر الصليبيين واليهود على الامة العربية والحيلولة دون ارتباط العرب في آسيا باخوانهم في أفريقيا الذي يشكل نواة لوحدة عربية كبرى يرى فيها هؤلاء الاعداء خطرا اسلاميا على مصالحهم ومعتقداتهم ـ مما أدى الى زرع هذا الجسم اليهودي السرطاني الخبيث في فلسطين كحاجز طبيعي بين مصر من أفريقيا ومناطق الشام من آسيا ٠٠ ومن ثم تم اخراج أهلها منها وتشريدهم فوق كل أرض وتحت كل سماء ٠٠ وتكرر العدوان اليهودي المؤيد من الصليبية والشيوعية ٠٠ بداية بالنكبةالاولى عام ١٩٤٨ م الى العدوان الثلاثي ١٩٥٦ م الى النكبة الكبرى عام ١٩٦٧ م الى احتلال جنوب لبنان في هذه الايام ـ كل هذا الذي حدث قد هز أعماق الامة العربية جميعها وليس الشعراء وحدهم ٠٠ وأدمت هذه القضية وعقابيلها كل قلب وفجرت فيه نزيفا راعفا لازال يخضب ساحة الوطن العربي حتى اليوم ٠٠ فكانت للشعراء وقودا أيما وقود لتفجير الطاقات والملكات الشعرية تصويرا للمأساة وتفاعلا مع ضحاياها من الشعب المشرد واستنهاضا لهمم الزعماء العرب والمسلمين للتحرك نحو دفع العدوان وصون المقدسات والاوطان ٠

لكن هناك حقيقة كبيرة ومرة ٠٠ لابد أن أنبه اليها ـ وربما يخالفني فيها الكثير من النقاد ـ وهي أن الشعر الذي قيل في هذه النكبة على امتداد الوطن العربي مساحة جغرافية ، وامتداد الثلث الاخير من هذا القرن مسافة زمانية والذي يتمثل في مئات الدواوين الشعرية التي صدرت حتى الآن ـ لم يكن هذا الشعر في مستوى النكبة التي قيل فيها ٠٠ ولا ننكر أن الشعراء الفلسطينيين الذين احترقوا بنار النكبة كانوا أقرب من غيرهم نحو الوصول الى بوابة هذا الحدث الرهيب بفعل الصهر المباشر ٠

أما الشعراء السعوديون فقد تفاعلوا كاخوانهم من شعراء الوطن العربي بالحدث نفسه والاحداث المترتبة عليه ـ وشاركوا بمواهبهم الشعرية بشعر يتضح فيه التجذر الاسلامي حيث كانت نظرتهم للقضية

نظرة تنبع من التصور الاسلامي للمأساة وان وقوعها كان يستهدف الاسلام ممثلا في العرب ، أو قص اجنحته ـ على الاقل ـ ولذلك فان علاج هذه النكبة لن يكون الا من خلال التمثل الاسلامي في سلوك الزعماء وشعوب الامة العربية ·

وبالجملة فالنكبة الفلسطينية تمثل بداية مرحلة جديدة في الشعر العربي بجميع الاقطار من حيث المحتوى والمضامين التي يدور حولها الكثير من الشعر المعاصر في العالم العربي بما فيه طبعا المملكة ·

٣ ـ العامل الثالث في التطور الشعري السعودي عبارة عن مجموعة عوامل تشمل أحداثا وتغيرات سياسية طرأت على المنطقة العربية في الربع الاخير من هذا القرن ووسائل اعلامية متنوعة مسموعة ومرئية ومقروءة أثرت على الشاعر السعودي بدون شك وان كانت معايشته لها غير مباشرة الا من خلال الشعور بوحدة المصير العربي ووشائج القربى في الدين واللغة والتاريخ مع كل العرب ·

وفي هذا النظام لايصح أن ننسى أن المملكة العربية السعودية كانت أول دولة عربية في العصر الحديث تدعو للوحدة العربية وتتبناها عمليا ، وأن الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ هو أول زعيم يقوم بهذا العمل المجيد وينجح فيه حينما وحد بين أغلب شبه الجزيرة العربية في وحدة عضوية اندماجية متكاملة ·

لهذا الشعور الوحدوي المبني على الاسلام عقيدة ونظام حياة يتفاعل الشعب السعودي بكل جوانحه مع كل دعوة وحدوية مبنية على الاسلام لا على مبادىء مستوردة ·· ومن هذا المنطلق وجدنا شعراءنا ينطلقون متأثرين ببعض الشعارات الطيبة التي كانت تتردد في أجواء بعض الانظمة ·

وقد يخذل شعراؤنا كما خذل الكثير من الشعراء العرب بالنتائج المرجوة من تلك الشعارات البراقة فتتمخض تلك الانظمة عن فأرة ·· للاسف ·· لكن الانتاج الشعري لايمكن الرجوع عنه عندما مايتبين الشاعر أن آماله قد تحطمت وان مااستسمنه ليس الا ورما ·· فالشعر يبقى للتاريخ وللزمن حتى ولو لم يطابق مضمونه واقع الحال الثابت المستمر ·

٤ ـ العامل الرابع في التطور الشعري السعودي المعاصر هو تلاقح الافكار بين أمة وأخرى أو بتعبير أدق ، بين ثقافة أمة وأخرى من خلال الاطلاع المباشر على ثقافاتها وانتاجها الفكري ، أو غير المباشر كقراءة المترجم من فكرها وأدبها وكالاتصالات المباشرة بين أبناء الامتين من خلال الدراسة أو الامتزاج والتعايش في المجتمعات المختلفة ، لغة وديانة ، وعادات ، وتقاليد ، الى آخر أنواع التلاقي وتبادل الآراء والافكار بعمق وشمول بين فريق من أبناء أمتين فاكثر .. فان هذا يوسع المدركات العقلية وتتلاقح الافكار بعضها ببعض فيستفيد كل طرف من الطرف الآخر ما قد يعتبر اضافة جديدة الى فكره الاصيل المستمد من فكر أمته وتراثها ومعتقداتها .. مع تحاشي مايجره ذلك التلاقح الفكري من شر على الدين والاخلاق بما يتدرج تحت مسمى (الغزو الفكري).

والشعر يأتي في مقدمة المشاعر والاحاسيس السريعة التأثر بما يحيط بها من بيئات وثقافات .

ان الذين يقرؤن الشعر الانجليزي أو الفرنسي مثلا في لغتيهما الاصليتين أو المترجم منه الى العربية قد يستطيعون اضافة بعض الافكار والتصورات والاساليب والصيغ من شعر تلك الامم الى الشعر العربي وقد تكون هذه الاضافات جيدة ومفيدة وقد تكون عكس ذلك .

وهذا مااصبح واقعا مشهودا .

ولعل مايسمى بالشعر المنثور أو (النثر) المشعور هو أحد المواليد الهجينة لذلك التلاقح الفكري بين بعض الشعراء العرب وبعض الشعراء الاوروبيين على اختلاف لغاتهم وجنسياتهم .

وبهذه المناسبة أود أن أنبه الى الفرق الشاسع بين هذا الذي يسميه أصحابه بالشعر المنثور ، وبين الشعر الحر الذي هو أيضا من مواليد هذا العصر ولكنه نمط من الشعر ويتفق مع الشعر الاصيل في اعتماده على التفعيلة ، والتفعلية هي الحاضنة للموسيقى الشعرية ، كما يتفق معه في وجوب تواجد القافية ولو على ترتيب مخالف ويختلف الشعر الحر عن الشعر الاصيل في ناحيتين بارزتين احداهما :

ان الحر لايعتمد عدد التفاعيل اللازمة لكل بحر من البحور الستة عشر في البيت الواحد فقد يكون شطر البيت مكونا من تفعيلة واحدة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع وربما أكثر .

الناحية الثانية ان الشعر الحر لايتقيد بالقافية اللازمة في كل بيت ، ولهذين السببين سمى حرا .

بل ان عمالقي الادب العربي المعاصر وهما (طه حسين) و (عباس محمود العقاد) يعتبران الشعر الحر تقليدا من الشعراء العرب للشعراء الغربيين .. أما مايسمى بالشعر المنثور فهما لايعيرانه أي اهتمام لانه خارج الساحة الشعرية قطعا ولا صلة له بالشعر مطلقا .

لعلنا بعد أن ألمحنا آنفا الى أهم العوامل المؤثرة في تجديد الشعر السعودي خلال الثلث الاخير من هذا القرن ـ نستطيع أن نقف وقفات قصيرة على بعض معالم التجديد في المضامين والمحتويات الشعرية وبعض معالم التجديد أيضا في التصوير والتعبير للتجارب الشعرية .

ويمكن اجمال أهم المضامين التي طرقها ولا زال يطرقها الشعراء في المملكة في النواحي التالية : ـ

١ ـ الحياة الاجتماعية .

٢ـ الحياة الوطنية والقومية أي مايشمل السياسة الداخلية والخارجية .

٣ ـ التعاطف الانساني وبخاصة مع الذين يخوضون حروبا للتحرر من الاستعمار والاضطهاد الديني أو العرقي .

٤ ـ التأملات فيما وراء الكون المرئي ، أو مايسمى بـ (الميتافيزيقيا) .

٥ ـ الحب بمعناه الشامل .. الروحي والمادي .

٦ ـ الشكوى والبرم بالحياة .

٧ ـ المديح .

٨ ـ الهجاء .

٩ – الرثاء ·

١٠ – الاخوانيات ·

من ذلك مثلا في الشعر الاجتماعي أن يسلط بعض الشعراء أضواء خافتة على حياة المجتمع أو قطاع منه كما نرى في صيدة الشاعر ناصر أبو حيمد (بم تحلمون ؟) ·

بم تحلمون
يأيها المتسكعون
الجائعون المتعبون
أجفانكم فيها ابتهال
وعلى شفاهكم سؤال
وعلى الجباه الصفر شيء لايقال
بم تحلمون ؟
يأيها النفر الجياع
المدلجون بلا ضياء
العابرون على السهوب بلامتاع
بم تحلمون ؟
يأيها الراعي الكئيب
المستظل على الكثيب
أطفالك الزغب الهزال
الهائمون على الرمال
بم تحلمون ؟

ويجدر أن نشير الى أن هذه القصيدة كانت قبل بداية النهضة الحديثة الكبرى وقد أجابت نهضتنا في شتى الميادين الحيوية على هذا السؤال الحائر بم تحلمون · ؟

وهذا هو الشاعر حسين بن سرحان يصور حالته عندما جاءه صاحب الدار يطلب الايجار : –

دائن جاء يبتغي ايجاره   بعد أن أسبل الدجى أستاره
ومضى العام شر عام وقد ذقنا ال   ـرزايا في حارة بعد حارة
كل عام يزيد عما مضى في أجره   الدار كالرياح المثارة
رب كوخ أركانه مائلات   وهو في سعره كدار (السفارة)
المثات المثات ماذا ؟ أنرمي   الاهل من رأس شاهق أو منارة
أم ترانا نعود كالعرب الرحل   والناس هرولوا للحضارة
بين رسم عفى ونؤى تبدي   ويعبر شمردل وحماره

والغريب أن هذا الشاعر رجع من طلال بيته الاخير الى بداوته الاصيلة بجميع مقوماته ٠

٢ ـ **الشعر الوطني :** وتتجلى في الشعر الوطني الرغبة العارمة في التطور والاخذ بأسباب الرقي والنهوض الحضاري النافع ، ومفتاح ذلك هو العلوم والمعارف وحواضن العلوم والمعارف هم شباب الوطن الذين عليهم ـ بعد الله ـ المعول في السير بوطنهم الى مرافيء العزة والمجد والمتعة ٠٠ ويوجه الامير عبد الله الفيصل الى شباب المملكة قصيدة بعنوان (نداء) جاء فيها قوله :

نسيت ما كان من حب وموجدة
شغلت عنها بما يصبو له وطني
روحي الفداء له ان قيل تضحية
ان الشقاء بما يعليه يسعدني
لن تعرف اليأس روحي والشباب يد
اذا دهتني دواهي الدهر تسندني
فيابني وطني بالعلم سعدكمو
وليس في الجهل الا فادح المحن
فعرفوا الغرب ما للشرق من منن
فيما مضى وأعيدوا أطيب المنن
ذودوا الغواة عن الاوطان وانتبذوا
من فرق الشمل بالغايات والفتن

وعلى هذه النغمة المحفزة المتفائلة والمستنهضة يتوجه الشاعر عثمان ابن سيار أيضا الى شباب البلاد قائلا : ـ

اليكم شباب البلاد الغيور   تلفت قلب البلاد الظمى
لقد لفحته شموس الهجير   وأضناه سوط الشقا المؤلم
لكم موطن أيقظته الحياة   على كونها المائج المغرم
رأى فيكم همة المنقذين   أغذوا الى الهدف المعلم
فاشرق مبسمه ندأ طلت   عليه جموعكم ترنمى
طويتم بهماتكم ليله   وما كان الا بكم يحتمي
صرير (براعاتكم) نغمة   بأذنيه رفاقه المبسم
بها صوته سوف يغزو الدنا   وفيها غناء عده اللهذم

٣ ـ أما الشعر القومي والسياسي فهو عند شعرائنا (مربط الفرس) كما يقال ، ذلك أن ايمانهم بوحدة الامة العربية والاسلامية كوحدة مصير مشترك يملي عليهم الشعور بالرابطة القومية والتضامن الاسلامي ٠٠ فكانوا يتألمون أشد مايكون التالم لكل مكروه يحل بقطر عربي أو اسلامي تحقيقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) ـ ولذلك فان كل معركة خاضها أي شعب عربي ضد أعدائه كان الشعراء السعوديون تلقائيا يخوضونها معه بمعاناتهم ومشاعرهم وأحاسيسهم الفياضة ٠

مثل قضية (فلسطين) وهي أم القضايا النضالية بالنسبة للعرب جميعا وكذلك حرب التحرير (الجزائرية) التي كان ثمنها مليون ونصف مليون شهيد جزائري وتعتبر أكبر ملحمة خاضها العرب والمسلمون في العصر الحاضر ٠

وتاتي القضايا الاخرى بعد هاتين القضيتين من حيث درجة الاهتمام والتفاعل القومي كالعدوان الثلاثي على مصر ، وكقضية استقلال المغرب العربي عن فرنسا وعدن وعمان عن بريطانيا ، ومجزرة زنجبار ، وكحرب لبنان عام ١٩٥٨ م عندما أصر كميل شمعون على تجديد رئاسته للجمهورية للمرة الثالثة خلاف مايقره الدستور اللبناني واستعان بالجيش الامريكي لاخماد ثورة المسلمين ضده ، ثم حرب لبنان الاخيرة ٧٦/٧٧ وقد تولى شمعون كبر ايقادها واستمرارها بالتعاون مع بقية زعماء النصارى الموارنة ٠

وكثيرة هي الاحداث غير هذه وتلك التي ضرب فيها الشعراء السعوديون بسهم وافر كتفاعل طبيعي لشعورهم الاخوي وتضامنهم الاسلامي

مع الذين هم دائما هدف العدوان مثلث الرؤوس اليهودية ، الصليبية ، الشيوعية ·

وأعتقد أن المقام هنا لايستدعي بالضرورة ايراد أمثلة أو نماذج من الشعر الذي قيل في تلك القضايا المصيرية والنكبات المريعة لانها من الكثرة بحيث يصعب الاختيار والانتقاء في عجالة كهذه ·· لكن التمثيل بالجزء القليل على الكل يفيد في رسم الصورة للمعالجات والتجارب الشعرية لشعرائنا المعاصرين ·

فالشاعر حسن بن عبد الله القرشي ـ يفيق من هول الصدمة التي أعقبت حرب ١٩٦٧ م فيحاول أن يقلب المأتم الى عرس حين يقول : ـ

هل يظن الغدر أنا سوف ننسى
لا وربي نحن أقوى منه بأسا
سوف نلقاه قريبا أننا
لاجتناء الثأر كم نرخص نفسا
سنرد البغي بغيا والاذى
سيرة ، والموت للاعداء كأسا
لن يضيع الغد مهما أملوا
والاماني البيض لن ترجع بأسا
قد غرسنا الحقد في أعماقنا
لك (اسرائيل) كم أينع غرسا
وطن العرب وان دنسته
فهو أنقى اليوم أن يحضن رجسا
حي أبطالا الى الحق مضوا
ومشوا فوق ذى العلياء قعسا
همهم أن يبذلوا الروح فدى
ويردوا مأتم الامجاد عرسا
أمة العرب أفيقي فلكم
مرفى الايام من نعمى وبؤسى
وسبيل النصر شول ودم
نحن جزناه فلن نرهب نحسا

وحدي الصف قويا واجمعي
من بني عدنان للهيجاء شمسا
وارفعي الرايات يوم الملتقى
يتدانى والجراحات ستؤسى

ونجد من شعرائنا من سبق زمانه أو تفتح وعيه قبل الشعراء الآخرين ، فوعى ألاعيب الاستعمار وأحابيلهم الخبيثة في الابقاء على النومة العربية العميقة حتى لاتفيق وتستيقظ فتحرمها من تحقيق أطماعها ومخططاتها الشريرة ضد العرب ، ومن أبرز هؤلاء في بلادنا الشيخ الشاعر / عبد العزيز بن عبد اللطيف آل مبارك الذي ولد في الاحساء عام ١٣١٠ هـ وتوفى فيها عام ١٣٤٣ هـ أي أنه لم يعمر في هذه الحياة أكثر من ثلاث وثلاثين سنة ــ ها هو يهزه تدخل الانجليز في امارة البحرين حيث يعزلون الامير الذي يظهر منه الشعور الوطني ويحلون محله ذنبا من أذنابهم فيقول : ــ

هل من يجيب اذا دعوت الداعي　　ويعي الخطاب وأين مني الواعي
ذهب الرجال وخلفوا اشباههم　　والماء يخلفه سراب القاع
كم ذا أنادى غير مسموع الندا　　وأحث للاصلاح غير مطاع
أبني الكرام السابقين الى العلا　　هل فيكم مستجمع لدفاع
هل فيكم من يختشي أو يرتجى　　لجلاد سيف أو جدال يراع

ويسترسل في صحته المدوية قائلا :

كم ذا تهضمنا العدا وتسومنا　　سوم العذاب ملون الانواع
فكأننا سرح بقفر سائب　　مافيه من جنب ولا من راع
قد ضاع سوق المجد حتى ماله　　من سائم فضلا عن المبتاع

ويستطرد في استنهاض الهمم الخامدة والعقول الجامدة : ــ

قوموا اقرعوا بالجد أبواب العلا　　لاتقصروا عن همة القراع
واستعذبوا شول المنايا في أجتنا　　ورد الاماني رائق الاينـاع
ان قلتم نخشى المجاعة فالذي　　لكم أشد أذى من الادقاع
وتعلموا فالعلم معراج العلا　　ومفاتح الاخصاب والامراع
واذا أعلمتم فاعملوا فالعلم لا　　يجدي بلا عمل يجن زماع

ويتناول الاوربيين في قصيدته هذه فيقول : ـ

وتلاعبت فتيان أوروبا بنا   كتلاعب الصبيان بالمرصاع
عجبا تباع وتشتري (البحرين) لا   من ثائر فضلا عن المناع

والقصيدة طويلة ، وكلها ثورة على الجهل والخمول والتواكل والاستخذاء للمستعمرين الاوروبيين ·

ويقال ان هذه القصيدة وجدت بعد موته تحت رأسه كما وجدت قصيدة ابن زريق تححت وسادته بعد موته في الاندلس ـ رحمهما الله ـ

يحرص كثير من الدارسين للشعر العربي في جميع أقطار العروبة أن يركزوا على شعر كل قطر بمفرده ليبحثوا وينقبوا عن سماته التي تميزه عن سمات شعر الاقطار الاخرى ليحددوا شخصيته أو جنسيته الاقليمية ـ فهذا شعر مصري ، وهذا شعر سوري ، وذاك فلسطيني ، وهذا عراقي ·· الخ · وكأنهم بهذا يعملون على تعميق الاقليمية وخلق النعرات حتى بين الشعراء من خلال مايستشفه الشاعر ويستوحيه من بيئته الاقليمية بدعوى التعبير عن طابع المجتمع وعاداته وتقاليده ·

وفي رأيي الشخصي أننا مادمنا أمة واحدة عربا مسلمين فالاولى بنا ألا نعمق فكرة الطابع الاقليمي في الشعر وانما المطلوب أن نعمق ونركز على المنطلقات العربية والاسلامية من خلال الشعور بالاخاء والتجانس وخلق الالفة والمحبة بيننا لأن ذلك هو السبيل لجمع شمل العرب ووحدة صفوفهم وأهدافهم·

ونحمد الله أننا لانلمس هذه الاقليمية الضيقة في الشعر السعودي الا نادرا ومع أن كثيرا من الدارسين للادب العربي ، والشعر منه بصفة خاصة يرون الشخصانية المحلية أو الاقليمية ميزة لشعر هذا القطر أو ذاك فاني أرى وضوحها في الشعر السعودي من الميزات التي نعتز بها ، فنحن أصل العرب وبلادنا هي الام لكل دولة عربية من حيث المنبت والمنشأ ، ومن حيث وجود المقدسات الاسلامية فيها ، مما يلزمنا أن نكون نحن القدوة الحسنة في كل

شيء بما في ذلك النهج الشعري ، لا أن نكون امعات ومقلدين لغيرنا ممن يقلدون الغرب والشرق ·

ومع ذلك فانه يوجد هنا بعض السمات التي تجعل للشعر السعودي نكهة خاصة ولكن لايميزها الا الدارس المنقب ، من ذلك ـ مثلا : ـ

١ ـ بروز الروح الاسلامية في الشعر السعودي ككل وعدم ظهور مايناقض العقيدة الاسلامية أو المثل والاخلاق في الجملة ·

٢ ـ مخاطبة مالا يعقل (١) :

من ظواهر الطبيعة أو جمادات الحياة ليفرغوا فيها شحنات عواطفهم وما يلوب في مشاعرهم في مخاطبة صامتة كما فعل الشاعر حسين عرب في قصيدته (أشجان الليل) التي يقول فيها : ـ

ياليل ما الاقمار فيك تألقت　　بضيائها المرفض من محرابه
في الارض أقمار خبت أضواؤها　　لما تعجلها الدجى بأيابه
العبقرية ويحها ما ضرها　　لو آمنت بالزيف من أربابه
فقضت كما يقضي الطريد حياته　　شرا يفيض عليه من أوصابه
حسب الاباة النابهين من الحجى　　ما نالهم من شؤمه وعذابه
هان المعلم واستكان بعلمه　　وعفى الاديب بفنه وكتابه
وشكا اليراع أناملا عبثت به　　فتنكبت بالحق عن أصحابه
منعت كريم الفعل بعض رجائه　　وحبت لئيم الاصل كل رغابه

٣ ـ ظاهرة التشاؤم (٢) :

تطغى ظاهرة التشاؤم في شعر بعض الشعراء السعوديين بقدر حاد وملفت للنظر ·

---

(١) من بحث للكاتب نفسه ألقاه في مؤتمر الادباء السعوديين بجامعة الملك عبد العزيز عام ١٣٩٤ هـ ·

(٢) المصدر السابق ·

والتشاؤم اذا كان في حدود المعقول المعبر عن البرم وضيق الصدر لواقعة مؤلمة اجتماعية كانت أو فردية ــ فهو محتمل كشيء من طوارىء الحياة ٠

أما أن يكون التشاؤم محلولك السواد خانقا شعر الشاعر بالابتئاس والانقباض والبكائيات واليأس المدمر واغماض البصر والبصيرة عن اشراق الحياة في كثير من جوانبها ــ فهذا هو مانود انقشاع غمته عن الشعر في المملكة ٠

ويحار الدارس والباحث والمحلل في بواعث التشاؤم القاتم في شعر الشاعر الخصب / محمد حسن فقي ــ الذي يقف على رأس هذه الظاهرةبدون منافس على الاطلاق ، وأعتقد أن هذه الظاهرة قد طبعت نفسية الشاعرالفقي بحيث أصبحت فيه طبعا لاتطبعا لانه فيما يبدو لايستطيع التخلص منها ٠٠ وأرجو أن يخطىء ظني هذا ٠

والغريب أن الفقي يقف في خط معاكس لخط شاعر المهجر ايليا أبو ماضي الذي يرش عطر الحياة على كل نفس ، ليبعث فيها الامل والسرور والابتهاج ورغائب السعادة بينما هو ــ كما يقال ــ كان يعيش في داخل نفسه أقسى أنواع التشاؤم والانقباض النفساني ٠٠ ومع ذلك لم يقل الا مايبهج النفوس ويخفف من آلامها وأوصابها ٠

فهل نقول أن ايليا أبا ماضي كان أحرص على راحة الانسان النفسية من شاعرنا محمد حسن فقي ؟ ٠٠ ربما ٠

استمعوا الى هذه الابيات للشاعر الفقي : ــ

لاقيت من عنت الزمان وضره   حتى يئست من الزمان ونفعه
لكأنني ماكنت من أبنائه   يوما ولم أك مثلهم من بضعه
ماذا لقيت من العلوم في درسها ؟   ماذا لقيت من الحطام وجمعه ؟
الا الشقاء السرمدي ينوشني   كالسوط تلهبني حرارة لسعه

اني لأحسبن الغريب عن الورى   عن لونه عن جنسه عن صقعه
كلا فما أنا في الورى متحدر   من أصله الزاكي ولا من فرعه

وقبل أن أغادر ساحة هذا الموضوع أحب أن أورد لكم رأي عميد الادب العربي كما يلقب ، الدكتور / طه حسين في الشعر السعودي ٠

فقد كتب منذ قرابة نصف قرن عن الشعر في الحجاز ونجد وتهامة وعسير قبل أن تأخذ هذه الاقاليم مسماها الوحدوي (المملكة العربية السعودية) كتب بعنوان (الحياة الادبية في جزيرة العرب) (١) يقول : ـ

(ان المجددين من الحجازيين بدءوا ينتشؤن الشعر والنثر على مذهبهم الجديد ولكنهم لم يوفقوا بعد الى أن يكونوا للحجاز شخصية أدبية ، وانما هم تلاميذ السوريين والسوريين المهاجرين الى أمريكا بنوع خاص ، فمثلهم العليا يلتمسونها عن الريحاني وجبران خليل جبران ومن اليهما ٠

(أما النجديون ففي قصائدهم تأثر ظاهر جدا بالروح العراقي الذي يتجلى في شعر الزهاوي والرصافي والكاظمي ، والروح المصري الذي يتجلى في شعر حافظ وشوقي ، ولكن للشعر النجدي الجديد شخصية تميزه عن شعر العراق ومصر فهو على تأثره بالشعراء المحدثين محافظ في لغته محافظة غريبة يتخير القوافي الصعبة ويطيل فيها ويكثر منها وكأنه يأخذها من لغة البادية النجدية التي هي في مادتها على كل حال لغة الشعر العربي القديم ، وقلما يستطيع الشعراء النجديون أن يتتبعوا المصريين في تجديدهم العنيف لألفاظ الشعر وأساليبه ومعانيه وانما هم معتدلون) ثم قال (أما تهامة وعسير ففيها حياة عقلية ولكنها ضئيلة جدا) انتهى كلامه ٠

وعجيب من طه حسين أن يذكر الادب في تهامة وعسير وينسى الاحساء والقطيف لكن ربما أنه لم يقرأ شيئا من انتاجها المعاصر ٠

---

(١) الوان : طه حسين ص ٣٣